كتم ألأصوات لا يتماشى مع الوطنية

دكتور علي الخالدي

في المرحلة الحالية , مرحلة الأنتقال من النظام الشمولي الدكتاتوري ، (التي طال أمدها) إلى النظام الوطني الديمقراطي الفدرالي الذي حدد مساره دستورنا ،يُحتم على كل سياسي استيعاب المفهوم الوطني لهذا التحول ، وأن يتعرف على مذاق كل سمات هذا التحول , مع قابلية شم الرائحة الوطنية في كل الخطوات التي تقوم بها الحكومة ، وما تصدره من تعليمات وقوانين . فالنظام الجديد بحاجة ماسة الى رجال يتمزيوا بحس تذوق المصلحة الوطنية والتعرف على مدى تماهيها ومصلحة المواطنين . لأنه على ضوءها تظهر مهارة الجماهير في فرز ما هو في صالحها وما يقف ضد تطلعاتها ، هذه الحاسة الوطنية التي يفتقدها الكثير من السياسيين في قمة السلطة وأصحاب القرار ، لأبتعادهم عن الفكر المعرفي في تبويب أوليات الحاجات الضرورية للجماهير الشعبية . هذه جدلية لا تنفصل عن ما يتمتع به هؤلاء من مشاعر وطنية ذات علاقة قريبة بتبني تلك الحاجات والعمل على تحقيقها بحيث تصبح عامل شد وتمتين للقربة من الشعب , منها يخرج التحليل الموضوعي ، والعلمي للحالة الراهنة التي تتحكم بها أزمات متنوعة الأشكال والأهداف متأتية من عدم إمتلاك امكانية تحسس السلبيات على المصلحة الوطنية العليا وغياب إعتماد مبداء الحوار وآلياته الديمقراطية التي يعتبرها صاحب الباع الطويل في تذوق الوطنية , معتبرا ايها , القاعدة الأساسية للخروج من كافة ألأزمات , وما خُلق من انشطار بوحدة النظر تجاه المسألة الوطنية الذي أدى الى التخندق وسيؤدي الى خلخلة موازين القوى عند فشل المساعي لعقد المؤتمر الوطني ، لأعتماد من في موقع القرار ، نظرة وحيدة الطرف أدت الى الذاتية والتحجر الفكري وإنقطاع عن مواصلة نهج الدستور والتطاول عليه , وبالتالي فقدانهم القدرة على القيام بالتحليل الملائم لتلك ألأزمات , مما أدى الى تولد فراغات بين ألأشياء والظواهر التي تدور حولهم وبين طموحاتهم لأجل الوطن والتي تشاهد لمجرد المشاهده من قبلهم مع التباكي عليها وعجزهم لمحاولة التصدي لها .

فالتصدي لمعالجة هذه الظواهر يأتي من خلال تعلم مباديء الوطنية وتعاليمها وهذه مهمة قد أدركتها الأحزاب الوطنية العريقة , وهي وراء سر صمودها أمام كل محاولات تصفيتها ومحاربتها ، لقد فشلت حتى القوة المفرطة للحد من التصاقها بالجماهير وعجزت عن الغاء قربها وتواجدها في المكان الذي تتواجد فيه الجماهير الشعبية ، لذا كان عليها من السهل أن تضع برامجها , وتوضح مبادئها الملموسة لحل معضلات بناء الوطن ، مستشفتاٍ إياها من حاجات الجماهير الجوهرية ، فترفعت عن إستظهار البسيط والفوقي لتطالعاتها . فالوطنية في العهود الرجعية و الدكتاتورية قد ربطت بمصالح الطبقة الحاكمة أو الحزب الحاكم وكان هذا سر عدم صمود الأنظمة أمام تحرك الجماهير الشعبية مالكة مذاق الحس الوطني ،فلا غرابة من ررؤية الجماهير لا تقف إلا بجانب كل الوطنين الذين قارعوا تلك الأنظمة على أمل تطبيق شعارات مرحلة النضال الذي سقط فيها من سقط وأستشهد مئات الألاف ليواصل الأخرون الطريق, لتحقيق أهداف تلك المرحلة بعد الأنتصار . بينما خابت الآمال بعدم الأستجابه لحالة ألأستعصاء السياسي . وفقدان القدرة على حل الأزمات الحالية لأرتباطها بالصراع على المناصب والنفوذ والسلطة مما الحق المزيد من الأذى وزاد من ثقل المعانات المعيشية , وتدهورت الخدمات و تعثرت جهود توفير الكهرباء (إذا وجدت الكهرباء وجد كل شيء) والماء الصالح للشرب . وحصلت اختراقات وثغرات أمنية متواصلة وضعت البلاد على سكة مجهولة الأفاق ، تنذر بعواقب ومزالق خطرة , فمنذ سقوط الصنم تواصل عهد التذبير بأموال الشعب (لكن ليس بحروب عبثية) في انفاقات لا مصلحة له بها في ظل أجواء من التناحر والتنابز زادت من افقاره .

إن النضال من إجل تفوق الحس الوطني على الحس الذاتي , يتم عبر التطور المتكامل والتناسق لحياة الفرد الأنسانية . لا يكفي أن تضع كل من ناضل ضد الدكتاتورية في موقع القرار أو الأنتاج إذا لم يكن مستوعبا لمجموعة المعارف الوطنية , وبمتلك نظرة علمية عن أهداف التغيير , وعن كيفية بناء النظام الجديد بالتنسيق مع الأراء السياسية والأجتماعية لكافة القوى المساهمة شراكيا في عملية بناء الوطن . أي ان يكون برنامج وطني متفق عليه من قبل الكل.

إن السياسي الذي كان يتمتع بمدارك فكرية عميقة ضمته للنضال من أجل الحقوق الوطنية لا بد انه كان يتمتع بأخلاق سامية ومعارف واسعة لا يمكن أن يفهم حياته دون العمل من أجل خير شعبه .

فالوطنية هي إحدى الوسائل الهامة لتطوير هذه الصفات وصقلها بالأرتباط بحياة الفرد بشكل وثيق , وهي تأتي نتيجة تراكمات تجارب أجيال متعددة تعلم الجماهير حب العمل والمعرفة والأخلاص للشعب , وعدم

. التسامح تجاه الشرور الأجتماعية والظلم والفساد وسرقة المال العام

يعتبر التصدي للنظال المطلبي الجماهيري اسلوب من أساليب تكتيم الأفواه يولد توقف الدعم والأسناد للسلطات . ويعرقل تثمين ما إستجد من فهم موضوعي للوطنية , لذا فالمسؤول عليه أن يمتلك الأحساس الوطني قبل غيره . أن الأحساس بالمهام الوطنية التي يمليها الوضع الجديد يتم عبر إطلاق المبادرة الخلاقة والنشاط الذاتي الجماهيري المتخذ اشكالا مرنة وفعالة لقيادة الحياة الأقتصادية والسياسية والفكرية للدولة , وهذا لا يمكن أن ينسجم مع تهميش القوى صاحبة الباع الطويل في نشر الثقافة الوطنية بيم الجماهير ولا مع ظواهر الجمود والروتين والغرور واللامبالاة من أي نوع كان .

إن الوطنية هي وراء توجه الجماهير الى الطريق الصحيح , وهي تعطي الوجهة الصحيحة للسياسي في عمله وتساعده على أن يعكس بعمق ووضوح برامجه الهادفة خدمة الشعب , لذا نشر المعارف الوطنية ضرورة بشكل خاص للشبيبة التي يقع على عاتقها شرف بناء الوطن , كما يجب مساعدتها على أن تكتسب نضوجا سياسيا , وأن تطور مساهماتها في النضال ضد الصعوبات , لا وضع العراقيل والمعوقات أمام تحركها الهادف الى تبيان الحود عن الخط الوطني للنظام عبر التظاهر أو الأضراب , والشبيبة عند تظاهرها إنما أرادت أن تؤكد حبها للوطن وحرصها على العملية السياسية وهم بهذا تحدوا اصحاب اللحى المصبوغة وأصحاب الزبيبة , و أولئك اصحاب النجوم التي منحت لهم زورا , وكل الذين إحتلوا مناصب ومراكز , من خلالها اغتصبوا الوطن , يتحدوهم ان ، يحبوا الوطن مثلهم لأنهم حبوه وضحوا من أجله دون مقابل .